العلاقاتُ (مقامات) !

إبراهيم بن محمد السلمي

عندما نتحدثُ عن العلاقات فإننا نُدركُ بأنها وإن (اتحدت) في المُسمى فإنها (مختلفةُ) الأنواع ، و (مُتعدّدةُ)الدوافع !! ويتفقُ الجميع على أن أقواها (متانةً)وأكثرها (تماسكاً) هي العلاقاتُ الأُسرية (الزوجية _ الأبوية _ الأخوية) ! وهذه العلاقات (بحر) لا ساحل له، ولو أردنا البحثُ فيها، و الحديثُ عنها لاحتيج إلى مجلدات كي (نغوصُ) في أعماقها !

وفي هذا المقال آثرتُ الكتابةَ عن العلاقات (خارج) الإطار الأُسَري، ومادعاني لذلك هو (الخلطُ) عند الكثيرين في (مفهوم) العلاقات، كما أنهم لم يُفرّقوا بين علاقةٍ (ساميةٍ) المعنى وعلاقةٍ لامعنى لها !

ولمعرفة (ماهيَّة) العلاقات وإدراك (حقيقتها) فإنه يلزمُنا البحثُ في (دوافعها) وروابطها.. ولذلك سأتناول بإيجاز (نوعين) من العلاقات بينهما (تباين) تام في الشكل والمضمون .

** أولاً / العلاقات (المادية) :
علاقاتٌ (شاعَ) أمرها مؤخراً بين الناس! أصحابُها (يتحايلون) على المبادئ، فيتظاهرون بالمثالية (الزائفة) التي (طَغَت) على تعاملهم، فالعلاقات من منظورهم (القاصر) ماهي إلا (وسيلة)، فجعلوا منها (سُلّماً) يتسلّقونهُ لنيل مبتغاهم، و (جسراً) يعبُرونه لتحقيق مرادهم! ولقد أرخصوا (قِيَم) العلاقات، فلم تكتسب علاقاتهم (قِيمة)، ولم يعُد لها (شأناً) فباتت تحكمها (مصالحهم)، وكَسَبَ المصالح هو مَرادُ علاقاتهم و (غايتهم) الكبرى!!

وعند الشدائد يتجلى(زيف) أصحابُ هذه العلاقات، فلاتنخدع حين تعجبك ابتساماتهم (المصطنعة)، أو تجذبك أحاديثهم (المُنمّقة)، فكُلُ ذلك في سبيل الوصول لأهدافهم (الرخيصة)، وإذا ماتحقق لهم ذلك فإنهم حينئذٍ يُحدثون (الاختلاف) وسرعان مايصيّرونه (خلافاً) ليصنعوا منه (حاجزاً) رغبةً منهم بوضعِ (حدٍ) لعلاقةٍ نالوا عن طريقها ما قد سعوا له !

هكذا (منهجُهم) حين (تنتفي) المصالح (تختفي)العلاقات ! ومثل هؤلاء ليس لديهم (مبدأ) يحكم عقولهم وينير بصائرهم، فما كان منهم إلا أن جعلوا من أنفسهم (أسرى) لأهوائهم!! فما هو موقفهم وحُمرةُ (الخجل) تصبغُ وجوههم تلك التي (استداروا) بها (ليتواروا) عن الأنظار بعد أن سقط عنها (القناع) وأُزيح (الستار) وانكشف (المستور)، وبانت الحقيقة و(تبدّى) وجهها للأعيان؟ ! فهل رضيتُم ياهؤلاء بالهوانِ على أنفسكم ؟وأنتم تسلكون سُبُلَ الإنحطاط ؟! فماذا عساكم فاعلون ؟!!

** ثانياً / علاقةُ (الصداقة) الرّوحيَّة:
الصداقةُ مفهومٌ (واسع) لايُختزلُ في (لفظٍ) يُذكر ولا (عبارةٍ) تُسطّر ،فهي ذاتُ معانٍ (عميقة)تفوقُ كل ثمن،وروابطٌ (وثيقة) لا تنحل بمرور الزمن،ومن أهم (دوافع)هذه العلاقة هي (المحبة) التي تنبضُ بها قلوبٌ قد مَلأها (الصفاء)، وجَامِعُها (إخلاصٌ) يكتنفُ رُفقةٌ يسودها (الإخاء)،وروابطُها المتين هو (صدقٌ) المعاملة والتعامُل حتي أضحى عنوانها (النقاء)، وشعارها (الإيثار) ، فالصديقُ (حقاً) من يؤثرُ صديقه على نفسه ،(يحملُ) همه و(يهتمُ) لأمرِه !! فالصداقةُ مقامُها (رفيع) وشأنُها (عظيم) فهي ذاتُ فضيلةٌ ثابتة لا(تُغيرها) الظروف، ومقاصدٌ (نبيلة) لا(تُسيّرها)المصالح! ولا (يرتقي)لأعلى مراتبها إلا من كان (وفياً)، يحفظُ (سر) صديقه ،ويصونُ صداقته..

فمن أراد أن يُشيّدَ (قصراً) من الصداقة فليكنِ (الوفاء) هو أساسهُ الذي يُبنى عليه ،(والإحترام) سيّدهُ الذي (يحكمه) ليستمر القصرُ (راسخاً) ويدومُ (شامخاً)!

** رسالةٌ للنقي و الوفي في علاقاته **
أيُها الشخصُ الذي(تحلّى) بالقِيَم في علاقاته مع الآخرين ، فلو أن الزمان قد أظهَر لك (سوء) بعض العلاقات وكَشَفَ عن زيفِ أصحابها ،فعليك أن تكُنْ كما أنت ،فأنتَ من التزمَ بـ (حُسن) المبادئ ، و اتسمَ بـ (كرم) الأخلاق ، فلا تتنازلُ عن ذلك لكي لا تنزلق في (وحلهم)، و لاتأسَ على مافات، فأنت أسمى منهم (منزلة)، وأجلُّ (قدراً)، وهم لايستحقون شخصاً بقامتك ! واجعل سوء علاقتهم أمراً من (الماضي) حتى تأخذُ طريقها نحو (الإندثار)! وأما أصحاب هذه العلاقة فاجعلهم من ورائك ينظرون إليك وأنت تخطو بثباتٍ في طريقك ، تدهسُ (العثرات) ، وتواصلُ (المسير) نحو (القمة) !! وحينها لن يراكَ (المُزيفون) مالم يحدقوا أنظارهم للأعلى، (فيحلمون) أن يكونوا مثلك ، و(يعجزون) عن الوصول إليك ..

** خاتمة ***
قال الإمام الشافعي رحمه الله :
جزى اللّهُ الشدائدَ كُلّ خيرٍ
وإن كانت تُغصصُني بِريقِي
وما شُكري لها حمدًا ولكن
عرفتُ بها عدوّي من صديقي

إبراهيم بن محمد السلمي – مكة المكرمة